دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العبرة و التعبير في قصص الأطفال عند وليد معماري
المصدر:	الموقف الأدبي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	السلمان، سليمان
المجلد/العدد:	مج 41, ع 496
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	آب
الصفحات:	202 - 205
رقم MD:	461099
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	تعليم الأطفال ، معماري ، وليد ، أدب الأطفال ، الإنتاج الأدبي ، قصص الأطفال ، تربية الأطفال ، التحليل الأدبي ، الأسلوب الأدبي ، الثقافة العربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/461099

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

العبرة والتعبير في قصص الأطفال عند وليد معماري

سليمان السلمان(*)

الأديب وليد معماري كاتب متعدد الإنتاجات الأدبية، فقد كتب في القصة القصيرة، وفي المقالة الساخرة، والمقالة الذاتية، وغيرها واهتم اهتماماً واضحاً بأدب الأطفال، فكانت قصصه ناجحة، لأن عالم الطفل واسع ومتنوع، والطفل يمتلك عالمه الذي يتناسب مع عمره ومعرفته، وخيالاته، لهذا كان على الكاتب أن يعرف عالم الطفل هذا وحاجاته، والسير به عبر الدروب الطفلية.. مع الانتباه إلى الحاجات العقلية والفكرية، والعاطفية، وأرى أن الخبرة المبدعة تسهم في توجيه أدب الكاتب للطفل، فيكون أقرب إليه من جهة التكوين فيسير معه عبر مراحل عدة توصله إلى العمر الذي يكتسب من مراحله ما يساعده، ويسليه ، فينمو النمو الذي نأمل أن يكون صحيحاً وصحيّاً، ومن خبرة المفاهيم التربوية التي يجب أن نعامل بها الأطفال نستطيع أن نرى أدب الكاتب وقدرته على أن يكون لهم ومعهم ولأجلهم.

كتب وليد معماري مجموعات عديدة للأطفال، وبقراءة رجل شغوف وبالتمتع بعدد كبير من القصص، أحاول أن أحدد مقدار الفائدة المرجوّة ولا أريد إيجاز القصص أو التعليق عليها واحدة واحدة، وإنما أهم العناوين الكبيرة التي تجتمع القصص تحتها، أو ترسم لنا مساراً من خلال التركيز على المضمون المتنوع معرفياً، وعاطفياً، والتمتع بوقت جميل في زمن الضياع بين الحاسوب والتلفاز.

وأقول وشواهدي قريبة: إن التشويق فيما قرأت، له مكانة أولى وهي تناسب القارئين بل وتعجب كل الأعمار.

ففي " يوميات شغبوب" يتجلّى موقف الكاتب الخبير في روحيّة فكاهية جميلة، فنرى كيف استطاع التعرف على أسباب التسمية، وأهميتها، إضافة إلى روح الشخصية وسماتها مع الحفاظ على تلك المقوّمات تعريفاً وتحديداً.

(*) أديب سوري.

لقد اعتمد وليد معماري في قصصه تلك على الحيوانات تارة والنباتات تارة، وعلى الإنسان تارة أخرى، وقد تنوعت تلك الحكايات، وتعددت شخوصها: فالقرد والثعلب والديك والهر والفأر والضفدع وغيرها. أما النباتات فالأشجار أولاً والطبيعة عامة وكذلك للفصول دورها ومشاركتها، وتفاعلها في المكان والزمان، والبيئة المحيطة، والريح والغيم وسوى ذلك من موجوداتها أما الإنسان فلم يكن خارج قوس الكلام، بل في فاعليته وتنوعه...ففي محتويات إحدى مجموعاته (دكان القرد الحكيم) تطالعنا العناوين التي ذكر فيها أسماء الحيوانات، وجميعها تدور حولها حيث نقرأ اثني عشر اسماً للحيوان، وللنبات ثلاثة أسماء فقط ولم يذكر الإنسان إلا من خلال علاقته في بعض القصص، إذ خصّ في (يوميات شغبوب) هذه الشخصية المبدعة بمغامرات تثير الاهتمام الذي لم يصل بعد إلى درجة استغلال أدب الطفل للمستوى الذي وصلته، هذه المغامرات، وفي تعميم ثقافة الطفل وما يجب قراءته، وإعطاء الكاتب المبدع في ذلك حقّه، واستطيع القول: إن الكاتب في هذه المغامرات المدهشة، يصل أحياناً إلى غايات عديدة فيها الكشف عن الإبداع، والتثقيف، والتسلية، والتأثير المتنوع... ففي قصة (نصف كاسة لبن) يُعبِّر لنا عن سبب التسمية التي تقودنا إلى تصوير الشغب الطفلي الجميل، في اسمه (شغبوب) وفي تصرفاته، فيصل إلى سبب التسمية مخاطباً "ريم" ابنة الآنسة "أم ريم" فيقول: [وقد سألتني: كيف يكون اسمي شغبوب وأحصل على علامات ممتازة؟.. أجبتُها وأقصد ممازحتها طبعاً... إن الأمر بسيط للغاية.. قبل أن أبدأ في حفظ دروسي، أسكب فوق رأسي نصف كوب من اللبن المحلّى بثلاث ملاعق من السكر، ويبدو أن ريم جربت طريقتي في الحفظ، ولهذا أخطأت أمها في كتابة اسمي فوق جلائي المدرسي... شغبوب]...

وقد تلاحظ معي طريقة "المقلب المضحك" التي اتبعتها أيضاً في مغامرة ذات "مقلب" مرة أخرى (درّاجة المديرة) التي يذكر فيها نصائح جده.. مغرياً المديرة بالدراجة... حيث يصل إلى أنها تطيل العمر، وتجدد الشباب، ثم يختصر الحديث حين يقول: [وفي اليوم التالي لم تحضر المديرة .. على غير عادتها إلى المدرسة أما المعلمات فقد عقدن اجتماعاً عاجلاً من أجل زيارة المديرة في المشفى].

وفي (يوميات شغبوب) تبرز قصة (يوم كَسَرْتُ المقعد) وهي قصة تعريفية بمن اخترع المصباح الكهربائي، فنعرف " توماس أديسون" ونتلذذ " بشغبوب" الذي لم تحتمل دفّة الجلوس قفزته، فانكسرت، وهنا يداخل الكاتب القصة في استخدام المديرة لشغبوب، والاستفادة منه في إصلاح قائمة منضدتها.

ولا يغفل القارئ أيضاً وبسهولة عن التسلسل المنطقي لأحداث ما يكتب "وليد معماري" وكيف يقفز إلى النهاية المترابطة مع القصة، وبشكل غير متوقّع... وفي هذا يكون الإبداع تشويقاً مضافاً إليه الوصف بالكلمات البسيطة المناسبة؛ لأن الإبداع للصغير يكون بالكلمات السهلة التي تعبر عن ذكاء حقيقي.

أما في قصة (سمعان الأحمق) فإننا نرى أحمق وقد تاب عن حمقه ويعيد الكاتب ترتيب الأسباب كما يلي:

" بسبب عناده، وعدم حبه للتعاون، أو الأخذ بمشورة الآخرين، أو طلب مساعدتهم".

وهنا يكمن جمال الدخول إلى معرفة أسباب فشله في بناء البيت، وهَدْمه. والحمق واضح في قوله: (سأهدم وحدي، وأبني وحدي) وكذلك عندما (لم يحفر أساسات للجدران)، وعندما يسقط البيت في العاصفة يستفيد من الدرس الأول، ويوافق على معونة الآخرين فيقول: [وكسب سمعان صفة لم تكن عنده، لقد صار محباً للناس، متعاوناً معهم].

وفي عالم التجربة والتربية، كم هو رائع أن يقول في قصة (الريح والأقوياء): [أنا لا أخاف من الريح ما دمت قد بنيت بيتي فوق أساس متين وبحجارة قوية]. والحكمة المثل في النهاية [الريح قوية بقدر ما نكون ضعفاء أمامها ولكنها ضعيفة إذ كنّا أقوياء].

وكم يظهر عند وليد من العبرة في العمل بالمبادئ، وتركيز المبدأ بالذات، لأنه الأساس للفكر، وللحياة، وللبناء، وهنا عظمة الفكرة، وعليها يعتمد الكاتب غالباً وعلى المقاربة أيضاً مع الحكايات الشعبية، والموروث الفكري، ولكنه يطوّره بجدّية، ويعطيه إبداعيةً تُنسيك موروثات الجدّ والجدَّة.

ولا ننسى أن قيمة الأرض عند الكاتب كبيرة وتصل حد القول: [بقدر ما تتعب، فإن الأرض تعطيك]. ومغزى قصة (العجوز والشاب) عندي: إن الأرض ثبات والعمل نبات، والنباتات حياة، والحياة لها نهاية سعيدة بالتأكيد بعد أن يصل العدل لأهل الأرض. والكاتب " وليد معماري" لا يتتبّع القص الجيد فقط بل وهو جادٌّ في توضيح ما في قلبه، وما يحمل من مبادئ في الحياة كما يراها، والأهم كما يجب أن تكون الحياة. لذلك أبرز الشوق للحرية في قصة (وظيفة الديك) التي توصلنا إلى ما يريد وليد، وكأنه هائم بالحرية، فيوضح عندها أهمية التوقيت والدقة، والإخلاص للخلاص، وكلها أمور تزيد روعتها في شاعرية التعبير التي تبرز كثيراً عنده كقوله هنا في (وظيفة الديك):

[ما أطيب القمح، ما أطيب الحمّص، ما أطيب الشعير... لكن الطيران في السماء أطيب بكثير].

ألست معي في روعة الكلام ووضوحه، وأمانة العرض التي تعطي من خلال دقة الوقت، والتعود عليه، والأهم الخلاص من القيد.

ومع ذلك يمكن تلخيص العمل الأدبي عند وليد معماري، في قصص الأطفال إنه:

1- يرتكز على موجودات الطبيعة من بشر وحيوان ونبات، وغيم وريح وفصول وغير ذلك في موجوداتها.

2- على الموروث الشعبي الغزير..

3- على الثقافة التربوية الجيدة.. حيث تبرز في المثل، والحكمة ودقة القول.. وفهم ما يدور في المجتمع.

4- وعلى الذات من أفكار الكاتب بما يستوحيه في أسلوب شيّق لطيف راقٍ.

5- وعلى جمال هذا الأسلوب الساخر وطرافة الأحداث الكثيرة.

6- وعلى الجملة لأدبيه الراقية، والمناسبة للأطفال دون الإسفاف من جهة أو التعقيد من جهة أخرى.. وفي هذا لابد من الإشارة إلى قدرة وليد معماري في استخدام العبارات المتداولة الفصيحة ونقلها مع بعض العذوبة، ولنسمع في إحدى قصصه:

[هنا دكان الحكمة، لصاحبها القرد الحكيم] أليست عنواناً لدكان حقيقية في إحدى مدننا].

[زوجتي يا سيدي ابتلعت كبشاً] إنها عبارة خيالية يطلقها حين المبالغة زوج ما تعبيراً عن امتعاضه من زوجه مثلاً.

[استعارت جناحي الغراب، وصارت تنتقل بهما من شجرة إلى شجرة]. إنها شاعرية قريبة المنال والجمال.

[إذا كانت حكمة القرد لم تنفعه، فكيف تنفعكم يا أصدقائي] ألا نقول: مَنْ لا خير فيه لنفسه، لا خير فيه للآخرين.

وبإيجازٍ، إن الكاتب وليد معماري كان قادراً في ما كتب على التصوير في تنوُّع اتجاهات السرد الجميل، والوصول بسلاسة إلى العبرة الواضحة المتألقة. فكأن حديثه قصيدة من خيال أو لمحة من فكر، وعلم، وجمال.